المذهب الداروني

لحضرة العالم الفاضل الدكتور حداد

وهي خطبة تلاها بالانكليزية في جمعية سمث اندرو العلمية بالاسكندرية

كان الفريق الاكبر من علماء الطبيعة يعتقد ان انواع الحيوان والنبات ثابتة لا تتغير وان كلاً منها خُلق على حدةٍ مستقلاً عمَّا سواهُ . اي ان البعوضة والحيَّة والكلب والفيل وهلمَّ جرًّا هي من نسل بعوضة وحيَّة وكلب وفيل وُجد كلٌّ منها مستقلاً من قديم الزمان على نفس الصورة الَّتي نراهُ فيها الآن . ويظهر لي ان هٰذا هو اعتقاد العامة في هذه الايام . ولكن بعض علماء الطبيعة اعتقد منذ عهد قديم جدًّا ان انواع الحيوان والنبات عرضة للتغير وان اشكالها الحاضرة متولدة من اشكال اخرى . ويقال ان ارسطو ذكر ما مفادهُ ان الانتخاب الطبيعي اوصل الانواع الى حالة الكمال الَّتي نراها فيها الآن من حيث موافقة بنائها لاحوال معيشتها . وان ابا بكر بن الطفيل كان يذهب مذهب اصحاب النشوء . ونقلوا عن الجاحظ ما يدل على صحة ذلك قال " اذا سمع الجهلاء العلماء يقولون ان النهب جسم يتدرَّج الى الكمال تدرُّجًا زعموا انهُ يمرُّ على حال الاجساد كلها فيكون رصاصًا ويصير قصديرًا فنحاسًا ففضة فذهبًا ولم يعلموا ان مراد الفلاسفة من ذلك كرادهم من قولهم ان الانسان اتَّصل الى ما هو عليهِ تدريجًا فان الفلاسفة يريدون بذلك انهُ ترقى الى الكمال ترقيًا وليس انهُ يكون ثورًا ثم يصير حمارًا ثم فرسًا ثم قردًا ثم بشرًا "

وهٰذا القول يقرب جدًّا من قول اصحاب المذهب الداروني . ولقد قال القدماء بهِ ولكنهم لم يؤيدوهُ بالادلة او لم يصل الينا شيء من ادلتهم . اما المحدثون فقد بحثوا عن صحة هٰذا القول واقاموا عليها الادلة الكثيرة . ومنهم لامارك العالم الفرنسوي وهو اول من نبهت نتائج ابحاثهِ افكار الناس الى هٰذا الموضوع . وقد نشر اراءهُ فيهِ سنة ١٨٠٩ ومفادها ان كل ما على الارض من حيوان ونبات والانسان في جملتها قد تسلسل بعضهُ من بعض . وقال انهُ يحتمل ان تكون كل التغيرات في الموجودات الآلية وغير الآلية قد حدثت جريًا على ناموس طبيعي عام لا ان الله اوجد كل نوع منها باعجوبة خاصة . ونسب بعض هذه التغيرات الى احوال المعيشة وبعضها الى تزاوج الاشكال المختلفة وبعضها إلى استعمال الاعضاء واهمالها اي إلى تأثير العادة فيها . وإلى هٰذا السبب الاخير نسب كل ما يُرى في الطبيعة من موافقة الاحياء للاحوال الَّتي هي فيها

كطول عنق الزرافة الذي يمكّنها من الوصول إلى اغصان الاشجار العالية

وكان يعتقد بوجود ناموس تجري عليهِ الاحياء في ارتقائها وانها كلها ترتقي بموجب هٰذا الناموس من حال البساطة الى حال اشد منها تركيباً ولذلك حكم ان الحيوانات والنباتات البسيطة التركيب في هٰذا العهد لم توجد منذ زمان قديم وانما تولدت من نسمها منذ عهد حديث وهٰذا من المعاثر ٱلَّتي عثر بها

وقام دارون وولس بعد لامارك واتصلا الى نتيجة واحدة تقريباً في وقت واحد من حيث اصل الانواع . وكان العلماء الطبيعيون الذين يقولون بتحوّل الانواع الى عهد دارون وولس يكتفون بالقول ولا يقيمون عليهِ دليلاً او ينسبون هٰذا التحوّل الى ما يشاهَد من الاسباب الخارجيَّة كاختلاف الاقليم والطعام والاستعمال والاهمال حاسبين انها كافية لتحوّل الانواع ولكن دارون وولس اكتشف كلٌّ منهما مستقلاً عن الآخر ان العلة الكبرى لكل تغيّر في الاحياء هي ناموس الانتخاب الطبيعي . ومرادي الآن ان اشرح هٰذا الناموس بما يحتملهُ المقام والوقت القصير من الاسهاب

ان ناموس الانتخاب الطبيعي الذي قال بهِ دارون وولس مبنيٌّ عَلَى اربع مشاهدات يمكننا ان نقول انها حقائق مقرَّرة وهي . اولاً اختلاف الافراد . ثانياً انتقال الاختلافات ٱلَّتي يولد بها الفرد الى نسلهِ . ثالثاً الجهاد لاجل البقاء . رابعاً بقاء الاحياء ٱلَّتي هي اصلح من غيرها للبقاء . ولننظر الآن الى كلٍّ من هذه المشاهدات على حدةٍ

(١) اختلاف الافراد * كل من اعتنى بتربية المرر او الكلاب يعلم ان اجراءها ٱلَّتي تولد في وقت واحد لا تتماثل في كل شيء بل تختلف بعض الاختلاف . وهٰذا مشاهد ايضاً في عيال الناس فان الاخوة والاخوات في العائلة الواحدة لا يتماثلون في كل شيء . بل لا يوجد فردان من نوع واحد متماثلان في كل شيء ولو كانا اخوين او توأمين حتى يقال ان السنوات الاخيرة من عمر التوأمين السياميين المتصلين معاً كانت سنوات كدر ونغص لاختلافهما في الآراء السياسيَّة من حيث الحرب الاميركيَّة الاهليَّة وجوازها . ويظهر اختلاف الافراد من ان الراعي يميز خرفان قطيعهِ خروفاً خروفاً ولو كان مئة خروف بل لو لم يرهُ الاَّ منذ اسبوعين وما ذلك الاَّ لوجود مميزات واضحة تفرق بينها . ويظهر اختلاف الافراد ايضاً من ان النمل يميز بعضهُ بعضاً ويفرق بين نمل قريتهِ ونمل غيرها . وهٰذا الامر واضح لا اظن ان اثنين يختلفان فيهِ ولذلك اتركهُ وانتقل الى المشاهدة الثانية

(٢) انتقال الاختلافات ٱلَّتي يولد بها الفرد الى نسلهِ * وهٰذا ايضاً من الحقائق المسلَّم

بها عموماً عند علماء البيولوجيا وعند جمهور الناس الذين يعتمدون على اخبارهم وما تشهد به حواسهم حتى ان الذين يربُّون الاطفال يقولون مثلاً ان هذا الطفل حادُّ الطبع كابيه وازرق العينين كامه واشقر الشعر كجده . والشواذ النادرة كالعنش (الاعنش من لهُ ست اصابع) تنتقل ايضاً بالارث من الآباء إلى الاولاد كما لا يخفى

(٣) الجهاد لاجل البقاء او تنازع البقاء * لا يخفى ان الاحياء تتكاثر تكاثراً عظيماً بالولادة ولولا الموت الذي يكثر في صغارها ثم يتولَّى كبارها ايضاً لضاقت عليها الارض بما رحبت لان تكاثرها على سلسلة هندسيَّة . فقد حسبوا انهُ اذا ابزرت نبتة بزرتين فقط في السنة وابزرت كل نبتة منهما بزرتين فقط في السنة الثانية لم يمضِ عليها عشرون سنة حتى يتولد منها اكثر من مليون نبتة . والحمار البحري الذي تبيض المحارة منهُ ١٦ مليون بيضة على الاقل في السنة اذا مرَّت عليهِ خمس سنوات وعاشت كل صغارهِ تكوَّن منها جسم اكبر من الكرة الارضية ثمانية اضعاف . والانسان نفسهُ على قلة نسلهِ يتضاعف كل ٢٥ سنة فاذا بقي على هذا المعدَّل من الزيادة الف سنة فقط لم يسع وجه البسيطة ما يولد من نسلهِ وتوفَّا . فلا شبهة في وجود جهاد شديد بين كل الاحياء . ولا يخفى ايضاً ان عدد افراد النوع الواحد يبقى على حالهِ في مكان واحد مدة طويلة اي لا يعيش من اولاد الزوج الواحد الاَّ زوج واحد غالباً وكل ما يزيد من ولدهِ يهلك في هذا الجهاد العنيف . وهذا امر لا جدال فيهِ على ما اظن ولذلك اتركهُ واتقدم الى المشاهدة الرابعة وهي الاخيرة

(٤) بقاء الاصلح * وهذا نتيجة لازمة عن الحقائق المتقدمة فان التغيرات المشار اليها آنفاً اذا كانت مفيدة لبقاء افراد نوع من الانواع بوجه من الوجوه فتلك الافراد تستفيد منها وتبقى اكثر من غيرها وتخلف نسلاً وتورث نسلها تلك التغيرات . فيكون نسلها اقدر على البقاء من نسل غيرها فيبقى دونهُ حيث تقضي احوال المعيشة ان يموت كثير من نسل ذلك النوع . اي ان بعض النسل يعيش ويخلف نسلاً لانهُ يختلف عن اخوتهِ اختلافاً يؤهلهُ للمعيشة ويغلبهُ على غيرهِ في الجهاد لاجل البقاء فيورث هذا الاختلاف لنسلهِ . مثال ذلك ان الزرافة المذكورة آنفاً اضطرَّت اسلافها وقتاً ما ان تقتات باغصان الاشجار العالية فالتي وُلدت منها طويلة الاعناق والايدي استفادت من ذلك وعاشت اكثر من اللتي ولدت واعناقها وايديها قصيرة . واللتي عاشت اخلفت نسلاً اعناقهُ وايديهِ طويلة ايضاً ومتوسط طولها مثل متوسط طول في آبائها وامانها ولكنها ليست كلها على قياس واحد بل بعضها اطول من بعض فالتي لها الاعناق الطولى والايدي الطولى استفادت من ذلك وتغلبت على غيرها واخلفت نسلاً مثلها ولهم جرًّا

وها كم مثلاً تخيليًّا تظهر به كيفيَّة بقاء الاصلح . لنفرض ان الذئب يعيش باقتراس حيوانات تختلفة فيتغلب على بعضها بالحيلة وعلى بعضها بالقوة وعلى بعضها بالسرعة ولنفرض ان طرائدهُ كلها قلَّت من مكان ما الاَّ الغزلان اسرعها جريًا . فاسرع الذئاب جريًا يقوى حينئذٍ على المعيشة والبقاء وإخلاف النسل اكثر من غيره ويكون هٰذا السبب الطبيعي داعيًا لبقاء اسرع الذئاب في ذلك المكان وانقراض غيرها . ولا شبهة في ذلك كما لا شبهة في ان الانسان يستطيع ان يزيد سرعة كلاب الصيد باختيار اسرعها للمزاوجة وإخلاف النسل

فترون من ذلك ان ناموس الانتخاب الطبيعي مبنيٌّ على الحقائق المشاهدة فهو حقيقة لا ريب فيها . بقي ان نرى كيف يفسَّر بواسطة هٰذا الناموس الفرق العظيم الذي يرى بين الاجناس والانواع اي كيف يمكننا ان نعلل انها كلها من اصل واحد مع ما بين انواعها واجناسها من الاختلاف العظيم . واذا كانت الانواع قد تولدت بعضها من بعض فاين الحلقات الموصلة بينها . ولماذا نرى الفروق واضحة بين نوع ونوع ولا نرى الانواع كلها متصلة بعضها ببعض

والجواب عن ذلك ان دارون ابان ان ناموس الانتخاب الطبيعي يقضي بهلاك الافراد الَّتي هي اقل صلاحيَّة للبقاء من غيرها . لان النسل يزيد على سلسلة هندسيَّة كما تقدم ولذلك تمتلىء الارض به سريعًا . وبما ان الاشكال الَّتي هي اصلح من غيرها للبقاء تزيد كثيرًا فالاشكال الَّتي دون غيرها صلاحيَّة تضطر ان تقلَّ . ويظهر من الابحاث الجيولوجيَّة ان القلة رائدة الانقراض لان الشكل الذي ليس منهُ الاَّ افراد قليلة ينقرض سريعًا اذا تغيرت الفصول تغيرًا مضرًّا به او اذا زادت اعداؤهُ . وهكذا كلما تولدت اشكال جديدة ينقرض كثير من الاشكال القديمة ويبعد الفرق بين الباقية في الوجود

ولذلك مثَل في الحيوانات الداجنة فلنفرض ان فريقًا من الناس احتاج الى الخيول السريعة وفريقًا آخر الى الخيول الكبيرة القويَّة . فالفرق بين خيول ذلك الفريق وهٰذا الفريق يكون في اول الامر طفيفًا جدًّا ولكن الفريق الاول يواظب على اختيار الخيل السريعة والفريق الثاني على اختيار الخيل القويَّة فيزيد الفرق بين خيول الفريقين على توالي السنين لان الخيول المتوسطة بين الشكلين المطلوبين اي الَّتي ليست شديدة السرعة ولا شديدة القوَّة لا تُستعمَل لاخلاف النسل فتنقرض . اي ان الاختلاف بين الافراد يحدث فيها اختلافًا طفيفًا في اول الامر ثم يزيد هٰذا الاختلاف بالاختيار رويدًا رويدًا حتى يفرق الشكلان المطلوبان احدهما عن الآخر فرقًا كبيرًا ويفرق كلاهما عن الاصل الذي تولَّدا منهُ . وهٰذا

الامر واقعيٌّ مشاهد في الحيوانات الداجنة وهو فعل الانسان في اختيارها وتأصيلها

وربَّ قائل يقول اننا نسلم بامكان هٰذا الانتخاب بفعل الانسان ولكننا لا نرى كيف يمكن ان يتم في الطبيعة من تلقاء نفسه . والجواب ان اصحاب هٰذا المذهب يعتقدون انهُ يتم عَلَى هذه الصورة وذلك انهُ اذا اختلفت افراد نوع في بنائها وسائر احوالها سهل عليها ان تجد مواطن جديدة مناسبة لها وتنتشر فيها فيتمكن ذلك الاختلاف في بنائها مثال ذلك ان الضواري قد بلغت في كل مكان الحدَّ الذي يمكن ان يقوم بهِ ذلك المكان فاذا زاد نسلها لم تثبت تلك الزيادة الَّا اذا طرأ عَلَى النسل اختلاف يمكّنهُ من الاستيلاء عَلَى اماكن فيها حيوانات اخرى كما اذا صار بعضهُ يفترس حيوانات لم يكن يفترسها قبلاً وصار البعض الآخر يسكن اماكن لم يكن يسكنها قبلاً ولم يعد بعضهُ يقتصر عَلَى اكل اللحوم بل صار يأكل معها الاثمار والاعشاب فانهُ يجد حينئذٍ من اسباب المعيشة ما يسهل المعيشة عليهِ ويمكّن الاختلاف في نسلهِ . وكلما زاد اختلاف نسل الضواري بناءً وعاداتٍ سهل عليها الانتشار والسكن في اماكن لم تكن اسلافها تسكنها . وما يصدق عَلَى حيوان واحد يصدق عَلَى غيرهِ من الحيوانات بشرط ان تختلف بعضها عن بعض و يصدق عَلَى انواع النباتات ايضاً . فالاختلاف يكفي للتنويع

وربَّ قائل يقول ايضاً ان هذا المذهب يقضي بوجود اشكال كثيرة متوسطة بين الانواع المختلفة فلماذا لا نرى آثارها في طبقات الارض . لانهُ اذا كان الولد كثيراً كما تقدَّم والاختلافات فيهِ كثيرة وقد انقرض اكثرهُ قبلما بقيت منهُ الانواع المحدودة فالاشكال المنقرضة يجب ان تكون كثيرة جدًّا وهي الحلقات الموصلة بين الانواع المختلفة فاذا لم توجد آثار هذه الحلقات في طبقات الارض لم يقم لنا برهان حسي على مذهب داروين . والظاهر ان علم الجيولوجيا لم يكشف لنا حتى الآن سلسلة موجود من الموجودات الحيَّة . ولعل هٰذا اكبر اعتراض على مذهب النشوء . وقد ردَّ عليهِ اصحاب هٰذا المذهب بقولهم ان ما سُبر من طبقات الارض وما بُحث فيهِ منها طفيف جدًّا فلا عجب اذا لم توجد فيهِ آثار الحلقات الموصلة بين الانواع . واعتذارهم هٰذا حقيقي وهو انما يحفظ مذهب النشوء من الرفض التام ولكنهُ لا يتبهِ من الاحتياج الى الفرض وهٰذا الفرض هو ان الحلقات الموصلة بين الانواع المختلفة قد وُجدت وعاشت على وجه الارض في العصور السالفة ولو لم نكتشف آثارها حتى الآن

يظهر مما تقدَّم ان المذهب الداروني مبني على حقائق كثيرة ولكنهُ لا يزال محتاجاً الى بعض الفروض التي لم يقم عليها دليل حتى الآن . فلننظر اذاً الى ما يعلم من امر الاحياء لنرى هل ينطبق عَلَى مذهب القائلين بثبوت الانواع او عَلَى مذهب القائلين بتحولها ونشوئها بعضها من بعض

وُجد من قديم الزمان ان الكائنات الحيَّة يشابه بعضها بعضاً مشابهة تختلف في الدرجات بحيث يمكن لمن يطلب ترتيبها ان يقسمها بحسب درجة هذه المشابهات الى طبقات متوالية وهي صفوف تحتها عيال وتحت العيال اسباط وتحت الاسباط اجناس وتحت الاجناس انواع . فالانواع الكثيرة تجتمع تحت اجناس اقل منها عدداً والاجناس تجتمع تحت اسباط اقل منها عدداً والاسباط تحت عيال اقل منها عدداً والعيال تحت صفوف اقل منها عدداً . وهذا ما يعرف بالتقسيم الطبيعي . والمشابهة بين طوائف الحيوان والنبات لا تخفى حتى على العامة فتراهم يقولون ان الحمار ابن عم الفرس لما يرونهُ من المشابهة بينهما . فما هو سبب هذه المشابهة بين طوائف الاحياء . والجواب ان سبب المشابهة بينها بحسب مذهب النشوء هو انها كلها مشتقة من اصل واحد . ولو لم تكن كذلك اي لو كان كل نوع منها مخلوقاً على حدتهِ لاستحال ان نرى ما نراهُ الآن من الصفات العموميَّة في الطوائف الكبيرة وآثارها في ما دونها من الطوائف الصغيرة التي تحتها وهلمَّ جرًّا . اما الذين يعتقدون بالخلق المستقل فينسبون ذلك الى وحدة القصد اي انهُ كان في ذهن الخالق صورة محدودة لما خلق الموجودات فقصد ان تكون طوائفها كلها منطبقة على تلك الصورة . ولكن هذا ليس تعليلاً علميًّا بل واسطة للتخلص من مشكل يعسر تعليلهُ . وقد ابان دارون ان تقسيم الحيوانات يشبه تقسيم اللغات . واوضح ذلك العالم رومانس بقولهِ " ان في اقسام الحيوانات واقسام اللغات خواص جنسيَّة مشتركة مثال ذلك ان اللغة اللاتينيَّة امست الآن لغة ميتة ولكنها اخلفت لغات اخرى تولدت منها وهي الايطاليَّة والاسبانيَّة والفرنسويَّة والانكليزيَّة . فما يكون حكمنا على لغوي يقول ان الانكليزيَّة والفرنسويَّة والاسبانيَّة والايطاليَّة خلقت كلٌّ منها على حدة وعلَّمها الناس الذين يتكلمونها بالهام الهي وان ما بينها من المشابهة بعضها لبعض وللغة اللاتينيَّة الميتة انما سببهُ القصد الالهي . الاَّ ان الادلة على تحوُّل الانواع الطبيعي اقوى من الادلة على تحوُّل اللغات الطبيعي لان الادلة على تحول الانواع اوسع نطاقاً وشواهدها اكثر عدداً "

ثم اننا نرى ان اعضاء الصف الواحد من صفوف الاحياء متشابهة بنوع عام ولو اختلفت اجناس ذلك الصف في احوال معيشتها . مثال ذلك يد الحيوان فانها تغيرت في الحوت حتى صارت تصلح للسباحة وفي الخفَّاش والطير حتى صارت تصلح للطيران وفي الفرس حتى صارت تصلح للجري ومع انها تغيرت في كل حيوان من هذه الحيوانات حتى تصلح لما يستعملها بهِ بقي بناؤها على اسلوب واحد وعظامها متشابهة شكلاً ووضعاً . ولم يزل في يد الحوت عظم الكتف والساعد والذراع وعظام الاصابع مع انها مكيَّسة بكيس شبيه بزعانف

السمك ولم تعد تصلح الاَّ للسباحة . ويد الخفّاش قد تنوّعت كثيرًا فطالت اصابعها وتغطت

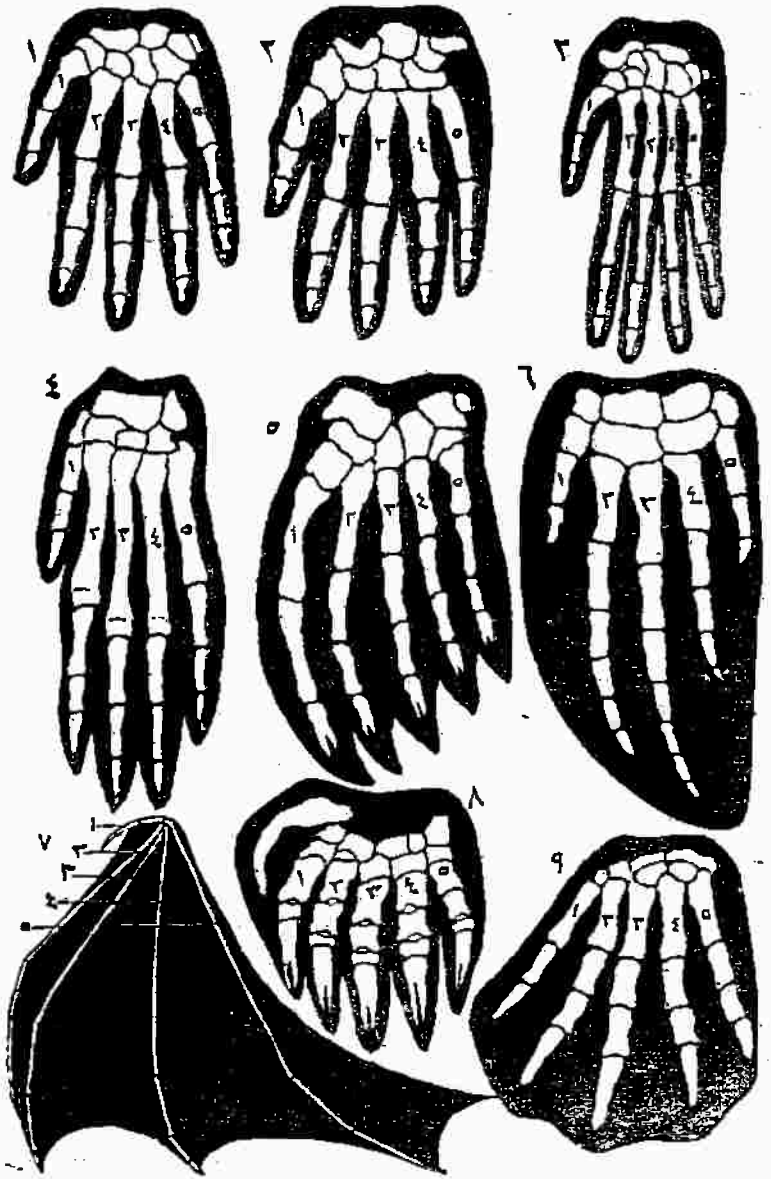

(الشكل الاول أكف الحيوانات اللبونة)

بغشاء جلدي حتى تصير كالجناح . ترى في هٰذا الشكل صور العظام وما يحيط بها في

أكف تسعة من الحيوانات اللبونة وهي كف الانسان رقم ١ . وكف الغورلاً رقم ٢ . وكف الاران رقم ٣ . وكف الكلب رقم ٤ وزعنفة الفقمة رقم ٥ . والدلفين رقم ٦ . وجناح الخفاش رقم ٧ . وكف الخلد الشبيهة بالمعول رقم ٨ . وكف الاريثورنكس ادنى الحيوانات اللبونة رقم ٩ . ويرى فيها التشابه التام بين عدد العظام ووضعها . ويد الطائر تنوّعت ايضاً حتى تصلح للطيران ولكن على اسلوب آخر فقصرت اصابعها والتحمت فتألف أكثر الجناح من الكتف والساعد . اما الفرس فقد نمت اصبع واحدة من اصابع كفهِ على نفقة سائر الاصابع لان ما نسميهِ بركبة الفرس يقابل الرسغ في يد الانسان اي ما بين الذراع والكتف . والقصبة (الوظيف) في يد الفرس هي البرجمة اي عظمة الكف المتصلة بالاصبع الوسطى وقد طالت كثيراً . والحافر والرسغ فيهما سلاميّات الوسطى الثلاث والى جانبي الوظيف تحت الجلد شظيتان وهما عظمان اثريان من اصبعين اخريين كما سيجيء

وليس اغرب من هذهِ المشابهة في اعضاء تختلف وظائفها باختلاف الحيوانات . ولا يمكن تعليلها بانها نتيجة الاستعمال ولا بانهُ اقتضى ان تكون كذلك لتكون على مثال واحد كما يذهب القائلون بالخلق المستقل لانهُ لو صحّ هذا المذهب لوجب ان يكون الخالق سبحانهُ قد صنع مثالاً محدوداً وقصد ان يجري عليهِ في كل مخلوقاتهِ فجاء الامر على خلاف قصدهِ غالباً لان رجلي الحوت قد زالتا تماماً . وكذلك زالت يدا الحيّة ورجلاها . فاذا اخذنا بقول القائلين ان الخالق خلق المخلوقات على مثال واحد لم نجد سبباً لاهتمامهِ بهذا الاهتمام العظيم بحفظ مزايا هذا المثال في بعض الانواع وعدم اهتمامهِ بحفظها في انواع أخرى . ولكن ذلك كلهُ يفسَّر على مذهب النشوء تفسيراً معقولاً . فاذا فرضنا ان الاصل الاول الذي تولدت منهُ الحيوانات اللبونة والطيور والزحافات كان بناء اعضائهِ مثل ما تشترك فيهِ هذهِ الحيوانات سهل علينا ان نفهم علة ما بينها من المشابهة في بناء اعضائها

ثم اننا نشاهد في الحيوانات والنباتات اعضاء في حالة اثرية اي انها صغيرة الحجم ولا فائدة منها للحيوان ولا للنبات الّتي هي فيهِ ولكنها تشبهُ اعضاء كبيرة لها وظائف مهمة في حيوانات ونباتات اخرى شبيهة بهما . مثال ذلك ان فصًّا من فصوص رئة الافعى صار اثريًّا وان اجنة الحيتان لها اسنان اثريّة مع ان الحيتان الكبيرة ليس لها اسنان ظاهرة واجنّة البقر لها اسنان لا تشق اللثة . وفي الانسان كثير من هذهِ الاعضاء الاثريّة . وكلنا يعلم ان الذنب الاثري الذي فينا لا فائدة لهُ الآن على الاطلاق . بل يعسر علينا ان نذكر حيواناً واحداً من الحيوانات العليا ليس فيهِ شيء من الاعضاء الاثرية . وما من احد يفكّر في امر هذهِ

الاعضاء الاَّ ويعجب منها ويسأل عن سببها ولا يسع القائلين بالخلق المستقل الاَّ ان يقولوا انها خُلقت تقليدًا لما يماثلها من الاعضاء التامة في الاحياء الاخرى اي انها خُلقت اتباعًا للمثال الذي لم يجد الخالق الى مخالفته سبيلاً. وهٰذا لا يطابق الواقع فضلاً عمَّا فيهِ من السخافة. مثلاً ان في جسم البوَّاء عظام ارجل اثرية فان قيل ان هذهِ العظام وجدت في البوَّاء لاتِّباع المثال الذي خُلقت عليهِ الحيات قلنا لماذا لم توجد هذهِ الارجل ولا آثارها في سائر الحيات. وقد تقدَّم معنا ان الشظيتين اللتين على جانبي برجمة الفرس المسماة قصبةً هما عظمتا اصبعين زائلتين فاين العظمتان الاخريان لان المثال الاصلي للاصابع فيهِ خمس لا ثلاث. اما مذهب النشوء فيعلل ذلك تعليلاً مقبولاً وهو انهُ اذا لم تعد فائدة لعضو من الاعضاء بسبب تغير احوال المعيشة فالانتخاب الطبيعي والاهمال والاقتصاد في النمو تضعف ذلك العضو ويزيد ضعفهُ رويدًا رويدًا بتوالي الاعقاب حتى يصير اثريًّا ثم يزول تمامًا

وقد ثبت ذلك في امر الفرس فقد اكتشف الجيولوجون احافير حيوانات من نوع الفرس يلي بعضها بعضًا في اصابع قوائمها وتدرُّجها من حيوان كان لهُ خمس اصابع في كل قائمة الى الفرس المعروف الآن الذي ليس لهُ الاَّ اصبع واحدة واثران صغيران على جانبيها كما يرى في هٰذا الشكل

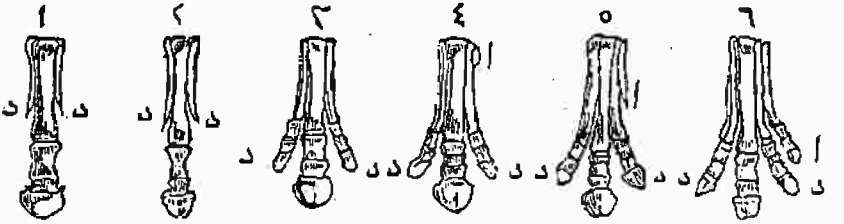

قوائم الفرس واسلافهِ

وهذه الاحافير متدرجة في طبقات الارض الَّتي وجدت فيها فالذي لهُ اربع اصابع وجد في طبقات قديمة والذي لهُ ثلاث اصابع في طبقات احدث منها وهلمَّ جرًّا بحسب سلسلة الحيوانات الَّتي مرَّ بها الفرس في ارتقائهِ

وعلى هذه الصورة وجد في طبقات الارض حلقات كثيرة تصل بين بعض الاجناس وبعض الانواع وبعض الصفوف مثال ذلك الطائر القديم الجناح (Archæopteryx) فانهُ طائر بائد جسمهُ كجسم الزحافات وقد حسب عند اول اكتشافهِ من الزحافات ثم حُسب الحلقة الموصلة بين الزحافات والطيور واخيرًا عدَّهُ الاستاذ اون من الطيور ولهُ اسنان في

فيهِ ومخالب في جناحيهِ وذنب طويل كذنب الضب ولكنهُ مغطًّى بالريش عَلَى جانبيهِ

وفي علم الاجنة ادلة كثيرة عَلَى صحة مذهب النشوء ولكن لا يسعني المقام ان اشير اليها. واقول في الختام انني لا ارى وجهًا لما يقولهُ البعض من ان مذهب دارون يناقض الدين وليس عندي عَلَى ذلك افضل مما قالهُ دارون نفسهُ في هذا الموضوع قال . اني ارى ان نسبة وجود المخلوقات الارضية وانقراضها في الماضي والحاضر الى اسباب ثانويَّة مثل الاسباب ٱلَّتي يولّد بها كل فرد ويموت لأكثرُ انطباقًا على ما نعلمهُ من النواميس ٱلَّتي وضعها الخالق للمادة . وحينما انظر إلى الاحياء القديمة لا كمخلوقات مستقلة بل كذرية احياء قليلة العدد عاشت في الارض قبلما تكوَّن اقدم الصخور المتضدة (الكمبريان) يزيد اعتبارها في عينيَّ . فمن جهاد الطبيعة من الجوع والموت نشأت اعظم الموجودات الطبيعيَّة ٱلَّتي نراها اي الحيوانات العليا . والنظر إلَى الحياة من هذا القبيل يزيدها عظمة لانهُ يرينا ان الخالق نفخ نسمة الحياة اولاً في بضعة مخلوقات او في مخلوق واحد فتولدت منهُ مخلوقات لا تحصى عدًّا ولا توفى وصفًا ولم تزل تتولد ما دامت الارض دائرة في فلكها

صحة القدمين

من كان رضيَّ الخلق صحيح الجسم جميل الطلعة فقد حاز الحسن كلهُ . وقد لا يخطر على بال كثيرين ان الحذاء الذي صُنع لدفع الاذى عن القدمَين يصير احيانًا كثيرة واسطة للاذى ولأشدِّ المضار فيشوّش العقل ويضعف الجسم ويقبح المنظر . ونحن ان لمنا الناس لقلة اعتنائهم بصحتهم وراحتهم جسدًا وعقلاً وجّهنا اللوم غالبًا إلَى الجهلاء الذين لا يعرفون كيف ينظفون ابدانهم ويغسلون ثيابهم ويدبرون غذاءهم واشرنا عليهم ان يتعلموا ويتهذبوا لان التعليم والتهذيب يكفلان اصلاح ذلك . اما اذا التفتنا إلَى ما اصطلح عليهِ الناس احذية لارجلهم رأينا الامّيين الذين لا يعلمون شيئًا بريئين من كل لوم والمتعلمين المتهذبين المترفهين قد قضوا على نفوسهم بالملامة وتحملوا التعب والالم عفوًا فخالفوا الوضع والطبع واتعبوا نفوسهم وشوّهوا منظرهم ولم يستفيدوا شيئًا ولا افادوا احدًا

يقول الاطباء الباحثون في علم الصحة ان الحذاء يجب ان لا يضيق على القدمين ولا يغير شكلهما الطبيعي والاَّ عرَّض الجسم لآفات كثيرة واضطرب بسببهِ العقل وساءت الاخلاق